الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
Arab Private Schools Federation

# ثقافة الاستدانة

## حريّة مؤقّتة أم همّ دائم

أزاحم ساحات الجهل والباطل، يرجى نشر ما تقرأ من علم وحق، ولا تصمت صوتك في الحق

360 KNO SMART SCHOOLING
ADVANCE THROUGH TECHNOLOGY
unicef
UNESCO
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization
GenEx
Generational Education Exchange
تمكين TAMKEEN
UNIVERSITY OF VICTORIA LONDON - UK
AMIEE
American International Education Federation

د. خميس بن عبيد العجمي
رئيس الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
رئيس مجلس أمناء مدارس كينو الخاصة بسلطنة عمان

في كثير من الأوقات قد يشعر الفرد بأنّه محاصر ومثقل بهموم الحياة وازدحاماتها التي تأبى الجبال لها حملًا، فيجد نفسه بين شدّ وجذب، فبين الإغراءات المتاحة والمطالب المستحقّة، وبين الاستهلاك والإنفاق، والإدّخار والاقتار، يقع المرء في حيرة بين متطلّبات عيش حياة كريمة، وعسر الحياة وضيق ذات اليد وقلّة الحيلة، فهذا الواقع قد يدفعه للاستدانة من الآخرين، فإنْ كان في حاجة فلا حرج عليه، ولكنّ الطامّة الكبرى والأمر المرفوض أخلاقيًّا وسلوكيًّا ومجتمعيًّا أنْ يكون الدّين من منطلق تلبية رغبات ترفيّة ومظاهر شكليّة زائفة، فهنا يكون قد وقع في فخ الدّين، متناسيًا أنّ كلّ مبلغ مهما كان بسيطًا هو عبء وحمل ثقيل يرافقه حتّى مماته، ولن يسقط عنه حتّى يؤدّيه لصاحبه، فهو ليس مجرّد دين، بل هو أكثر من ذلك، فهو قيد لروحه، وهمّ لقلبه، وفكرة ملّحة تقضّ مضجعه وسكينته، فها هو الواقع يعطينا صورًا حقيقيّة أنّ هذه الفئة من الأفراد التي تلجأ للدَّين الترفيّ هي من تتقاعس وتعرض عن سداده لأصحابه.

فلوهلة قد يظنّ المدين أنّ دينه لا يتعدّى كونه مبلغًا ماليًا بسيطًا يعيده وقتما تيسّر له، ولدى البعض الآخر إنْ تيسّر له وشاء له دفعًا، فيكون بذلك في حالة تناسٍ تامّ بأنّ هذا الدّين ليس مجرّد رقم من الأرقام والتّعاملات، إنّما هو بعد يعكس نمط العلاقات الإنسانيّة التي تحمل في ثناياها قيم الأمانة والمسؤوليّة والثّقة وردّ المعروف، لذلك فقد جاء الحديث النبويّ بصيغة تحذير من هذا الجانب، إذ يقول النبيّ ﷺ:"نَفْسُ المُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْه" رواه الترمذيّ، وهنا تأكيدٌ لمدى خطورة التّهاون والمماطلة في التّغاضي عن سداد الدّين لكونه يغادر نطاق التّعاملات الماليّة، ليصبح صكًّا لتحرير الروح الإنسانيّة من أحمالها، وتطهيرًا للقلوب من أدرانها، وإعادة للانسجام بين الإنسان وذاته وخالقه وأفراد مجتمعه، فمماطلة السّداد قد تكون بداية الطريق نحو النزاعات القضائية، والانفصالات بين وشائج المجتمع وروابطه، وبثّ العداوة والبغضاء والمشاحنة بين أفراد المجتمع الواحد، ناهيك عن الأثر الذي يطال البعد الاقتصاديّ والتنمويّ، بجعل قدر كبير من الأموال يعدّ بمثابة أموال متبخّرة، فلا هي لصاحبها لتعود له فيستثمرها، ولا هي للمدين ليستفيد بها في منفعة، خاصّة إنْ اقترنت برفاهية مزيّفة.

فما وصف النبيّ ﷺ لنفس المؤمن الذي يتغاضى أو يقصّر عن سداد دينه بكونها "معلّقة"، إلّا تشبيه بليغ لما تعانيه الروح المثقلة بالديون، فهي...

روح محمّلة بحقوق للعباد عليها، فأنّى لها بتواصل مع الله...

روح قيّدتها ديونها بأثقال وأعباء دنيويّة، فأنّى لها بارتقاء روحيّ.....

روح معلّقة بسداد دينها، فأنّى لها بتحرّر وهي ترتقب متى السّداد...

فحقيقة سداد الديون وإيفائها لأصحابها، لا تتعلّق بفكرة التزام ماليّ يقضى وحسب، بل تحمل البعد التطهيريّ الأعمق، الذي يشمل تطهير النيّة من الشوائب بإعلان صدق النيّة مع الله والآخرين، وتزكية للنّفس من أنانيّة وغدر وتلاعب، في مقابل تعليم لقيم العطاء والوفاء والأمانة، وتحرير للضّمير من ألم الشّعور بالذّنب والتقصير تجاه أفراد أحسنوا وأعطوا ولم يبخلوا...

فالدَّيْن نسيج من الأنسجة التي تحيك وشائج المجتمع وروابطه، وقد يكون نسيجًا يقويّه ويعمّق الثقة بين أفراده وينشر بينهم جو التّعاون والتآزر، إنْ سادت فكرة السّداد وردّ المعروف، أو نسيجًا يضعفه ويقتل روح التّعاون ويبني حواجز نفسيّة بين الأفراد ويؤدّي إلى تشابك علاقاتهم، إنْ بني على فكرة الغدر وعدم الأمانة والمماطلة في سداد الدّين، فالإعراض عن سداده بنيّة أكل مال بالباطل ودون وجه حقّ، يعدّ من الذّنوب التي لا تغتفر حتّى لمن استشهد في سبيل الله، وفي ذلك قول النبيّ ﷺ: "يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ" (رواه مسلم)، فضلًا عن أنّ فيه منعًا من النّعيم، وهمًّا في الدّنيا، وعذابًا ومحاسبة يوم القيامة، لما فيه من انتهاك لحرمة مال الآخرين، إذ يقول ﷺ: "مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ" (رواه البخاري).

ولذلك، ونظرًا لكون الإسلام دين التوادّ والتّآخي والتّراحم، فلم يترك الإسلام الفرد سدى، ولم يترك المدين وحده فيما حمله من عبء قد يصيبه قصور في ردّه، فنجد توجيهات إيمانيّة ترشد المجتمع إلى المشاركة في حمل هذا العبء من منطلق أسريّ، فأقرباؤه مطالبون بالمساعدة وفق طاقتهم، ومن منطلق اجتماعيّ، فمن أوجه الزكاة وأبوابها تمّ تخصيص باب للغارمين في الدّين، ومن منطلق مسؤوليّة دول بأكملها، فالدّول مطالبة بوضع آليّات وتشريعات لحماية المدين من الاستغلال ومعاونته على السّداد.

فالإسلام من زاوية أولى، هو دين الكرامة والعدالة الاجتماعيّة، وفي ذلك قول الله تعالى: (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة:280)، وفي تشريعاته حماية من الذلّ وإعطاء خيارات لمساندة المدين لسداد دينه دون إمتهان لكرامته، وفي الوقت ذاته فيها تحقيق للعدالة لكلّ من الدائن والمدين، فكلاهما له ما له من حقوق، وعليه ما عليه من واجب، فالدائن من جهة يستردّ ماله، ولا يطاله ضرر التّأخير أو المماطلة، والمدين من جهة أخرى يعامل بإنسانيّة ويمهل في عسرته، ولا يطالب بأكثر ممّا يستوجب عليه.

ومن زاوية ثانية فإنّ الإسلام، مدرسة القيم الأخلاقيّة والتّعاملات الإنسانيّة الرحيمة، فهو يقوم بتربية الإنسان على القيم الإنسانيّة التي تحكم المعاملات بين الأفراد، فيربيّه على الأمانة والوفاء بالالتزامات، وعلى الصدق وعدم المماطلة، وعلى تحمّل المسؤوليّة تجاه حقوق الآخرين، وعلى التّواضع وطلب المساعدة عند الحاجة.

كما ويقوم بتوجيه الأسر للتّعامل بأمانة مع الدّيون، وتربية أبنائها على الوعي بأهميّة المال والحفاظ عليه، وعلى الالتزام بالوعود والعهود، وعلى التّعاون أمام المصاعب، وعلى غرس أهميّة وقيمة كتابة وصيّة قبل الموت، بحيث يذكر فيها ديونه ويوصي بسدادها من مال وصية أو ميراث، لما في ذلك من تحرير له وعتق من النّار، وفي حال عدم قدرته أو عسرته، فيضمر النيّة في السّداد وذلك أضعف الإيمان، فيكون دور الأسرة أنْ تقف معه في حال عسرته، أو أنْ تسدّ ذلك الدّين بعد وفاته إنْ استطاعت، أو تخرج عنه صدقة فتحوّل لسداد دينه، فإنْ كانت إسرته معسرة أيضًا سعت للتفاهم مع الدائن إمّا باتّفاق على الدّفع بتيسير أو بتنازل الدّائن عن دينه عن طيب خاطر واحتساب أجر عند الله.

ومن ناحية ثالثة فإنّ الإسلام بدعوته لسداد الدّين، يمسّ الجانب النفسيّ لنفوس الأفراد، فهو بذلك يدعو لتحرير القلب من قيود القلق والهموم، مدركًا ما يحمله الدّين من منغّصات على الإنسان تنعكس في عباداته؛ فيصيبه التشتّت وانعدام التّركيز، وفي علاقاته المجتمعيّة؛ فيتراجع في دافعيّته للتّواصل والعطاء والإنتاج والإبداع، وفي صحته؛ فيبدأ معايشة أمراض نفسيّة وعضويّة على حدّ سواء، وفي المقابل فإنّ سداد دينه يمدّه بالرّاحة النّفسيّة، وينهي قلقه وتوتّره، فيستشعر السكينة والقرب من الله والرّضا، ويستعيد ثقته في قدرته على الوفاء بالالتزامات، ممّا يسبّب له السّعادة الحقيقيّة الدّاخليّة.

لذلك يظهر هنا دور المجتمع بمؤسّساته - على اختلافها - في تقديم حلول من شأنها صناعة مجتمعات خالية من الدّيون، فيقع على عاتق المؤسّسات الدّينيّة دور التوعية بخطورة الدّين، وتوضيح الأحكام الشرعيّة المتعلقة فيه، وتقديم الفتاوى فيما أشكل منه، والتّوسطّ بين الطرفين، ودور المساهمة في جمع التّبرعات لقضاء الدّيون عن الغارمين، ودور المشورة المالية الشرعيّة لمن يحتاجها، كما ويقع على عاتق مؤسّسات التنمية الاجتماعيّة القيام بتنفيذ البرامج المجتمعيّة التكافليّة، كصناديق الغارمين في الدّين، وبرامج التأهيل المالي الشخصيّ، ومبادرات التيسير لتسهيل سداد الديون دون فوائد، وتوفير شبكات دعم اجتماعيّ للمدينين.

ومن هذه النّظرة الشّموليّة، يتّضح أنّ سداد الدين تحرير شامل لروح الإنسان من عوائق وحجب تمنع تفاعله المجتمعيّ بصورة صحيحة، وتحبط نمّوه الروحيّ المطمئن، وبالمقابل فعند سداد دينه فهو يحرّر ذاته، ويطهّر مجتمعه من الأنانيّة والاستغلال والمماطلة بالباطل، ويبثّ فيه الثّقة والتّعاون واحترام الحقوق وحفظ العهود...

فليسأل كلّ منّا الإعانة والتّوفيق من الله لسداد حقوق العباد وأدائها، والمباركة في الرزق وزيادته، وتحرير الرّقاب من قيود الديون وأعبائها، وأنْ يجعل منّا من يُيسّر على الناس فيُيسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ولنكن ممّن يتّقون الله في حقوق الآخرين، ويصدقون مع الله في نيّاتهم فيجعل لهم من كلّ ضيق مخرجًا، ومن كلّ همّ فرجًا، ومن كلّ دين قضاءً.

اللهم آمين.....